





برعاية صاحب السمو أمير البلاد
الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

المؤتمر العالمي

منهجية الإفتاء في عالم مفتوح

الواقع الماثل.. والأمل المرتجي

ورقة واقع الفتوي في وسائل الاعلام

أ. محمد خليفة صديق

9-11 جمادى الأولى 1428هـ - شيراتون الكويت - 26-28 مايو 2007م

للاستفسار: 2663180 - 2663150
الموقع الإلكتروني: www.wasatiaonline.net

بسم الله الرحمن الرحيم

***مقدمة:**

مدخل لغوي:(١)

الفتوى لغة: اسم مصدر بمعنى الإفتاء، والجمع الفتاوى والفتاوي. يقال: أفتيته فَتْوى وفتيا، إذا أجبته عن مسألته.

والفتيا: تبيين المشكل من الأحكام، وتفاتوا إلى فلان: تحاكموا إليه وارتفعوا إليه في الفتيا. والتفاتي: التخاصم. ويقال: أفتيت فلاناً رؤيا رآها، إذا عَبَرَتها له، ومنه قوله تعالى حاكياً عن ملك مصر: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَاي ﴾] يوسف: ٤٣.]

والاستفتاء لغة: طلب الجواب عن الأمر المشكل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٢ ، وقد يكون بمعنى مجرد السؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ الصافات: ١١ ، قال المفسرون: أي اسألهم .

والفتوى في الاصطلاح: تبيين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه، وهذا يشمل السؤال في الوقائع وغيرها .

والمفتي لغة: اسم فاعل أفتى، فمن أفتى مرة فهو مفتٍ، ولكنه يحمل في العرف الشرعي بمعنى أخص من ذلك، قال الصيرفي: هذا الاسم موضوع لمن قام للناس بأمر دينهم، وعَلِم جُمَل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن عَلِم مسألة وأدرك حقيقتها، فمن بَلَغ هذه المرتبة سمّوهُ بهذا الاسم، ومن استحقه أفتى فيما اُستفتي فيه.

وقال الزركشي: المفتي من كان عالماً بجميع الأحكام الشرعية بالقوة القريبة من الفعل وهذا إن قلنا بعدم تجزؤ الاجتهاد (٢) .

ويعتقد بعض علماء اللغة العربية واستنادا إلى النص القرآني في قصة يوسف عليه السلام «أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» إن معنى «أفتوني» في هذه الآية هي « بينوا لي علماً استفيد منه» والفتوى في العقيدة الإسلامية هي تعبير عما وهب الله شخصا معينا من العلم استنادا على نفس السورة السابقة «يوسف أيها الصديق أفتنا»، «لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي».

وجاء ايضا في تفسير القرطبي بمعنى «سُؤَال قَوْم مِنْ الصَّحَابَة عَنْ أَمْر» (٣).

ويعتبر إصدار الفتوى في الإسلام أمرا عظيما من ناحية المسؤولية ويعتبر البعض من يصدر الفتوى إنه شخص نصب نفسه للتوقيع عن الله تعالي في أمور جدلية مثل الأمر أو النهي أو إطلاق مسميات مثل الحلال والحرام ومستحب و مكروه وغيرها.

والواقع أنه مع قلة عدد المتفرغين لتلقي العلم الشرعي ، وضحالة هذا العلم أساسا إعتمد معظم الناس في أمور دينهم على استفتاء بعض الأفراد ، ونتج عن هذا انتشار الآراء الضعيفة في المذاهب الفقهية بين الناس ، كما أصبحت فتاوى الدين تأتي ممن ليس لهم أدنى علم بأمور الشرع، بل كان لمناصبهم أكبر الأثر في انتشار آرائهم ، كأن يكونوا رؤساء لتحرير الصحف والمجلات أو محررين فيها أو مذيعين في الفضائيات .

وترمي هذه الورقة الي تسليط الضوء علي واقع الفتوي في الاعلام بكافة وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية ومن ثم تقترح السبل الكفيلة

إعلاميا للتصدي لسالب هذه الوسائل في أمر الدين عموما والفتوي علي وجه الخصوص.

ولاشك أن الجميع يلمس الوجود الكثيف للفتوي بغض النظر عن كنهها في وسائل الاعلام وذلك لاسباب عديدة منها:-

١_ تجدد حاجات الناس مع تطور العصر يحتم الحاجة لبيان الحكم الشرعي فيها.

٢_ تميز برامج الفتوي بجمهور غفير يجعل وسائل الاعلام تتسابق علي وجود مثل هذه البرامج والصفحات ضمن إهتماماتها.

٣_ عدم وجود ضوابط أو مواثيق تحكم حركة الفتوي في الاعلام مما سهل علي كل من يريد أن يتسنم مقام الفتوي أن يفعل .

٤_ تورع كثير من أهل العلم الشرعي عن الفتوي شجع من هم أدني مرتبة منهم التحرك لملء الفراغ .

***واقع الفتوي في الاعلام** :

إزدياد وجود الفتاوي في المسائل الدينية والامور الحياتية في الفضائيات ووسائل الاعلام الاخري من صحف ومجلات وإذاعات ومواقع إنترنت جعلها إشبه بالظاهرة التي تقتضي الدراسة والمعالجة.

وليس أدل علي أن أمر الفتوي في وسائل الاعلام والانفلات الذي يعاني منه يؤرق الكثير من أهل الاختصاص من تقديم الدكتور علي جمعة مفتي مصر مشروعا لشيخ الجامع الأزهر لتأسيس جهاز رقابي على القنوات الفضائية يتولى مراجعة الفتاوى التي تذاع على الناس .

وأوضح مفتي مصر خلال محاضرة ألقاها بملتقى الفكر الإسلامي الذي نظمه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة أن المشروع

الرقابي فكرة طُرحت في لقاءات له مع شيخ الأزهر لمنع انتشار الفتاوى الشاذة .

وقد علق عاصم سالم المقيم بكنـــدا علي مبادرة السيد مفتي الـــديار المصرية التي قال أنها قد جاءت متأخرة إلا أنها تدل على أن هناك مـــن يهتم أخيرا بتنظيم "فوضي" فتاوي الفضائيات وبرامجها الدينية ، فبالرغم من أن بعض تلك البرامج له هدف نبيل ويقوم على دراسات واعيـــة، إلا أن الكثير منها للأسف يفتقد إما الهدف النبيل أو الدراســـات الواعيـــة أو كلاهما.

ورأي أنه قد حان الوقت لوضع بروتوكول إعلامي يجب أن تلتزم به كافة وسائط الاعلام ومحطات التلفزيون بدون تمييز أو استثناء والهـــدف منه هو الحفاظ على الرموز الدينية والتاريخية والوطنية وعدم التعـــرض لأية مواضيع حساسة إلا بعد دراسة واعية وبعد التأكد من حسن المقصد والمضمون . (٤)

وتعلق د.هيا عبدالعزيز المنيع بصحيفة الريـــاض الـــسعودية العـــدد ١٣٦٩٤ بتاريخ ٢١ ديسمبر٢٠٠٥م (٥)علي تـــضارب الفتـــاوي فـــي الصحافة والاعلام بقولها :" مع كل عملية اكتتاب لأي شركة جديدة تظهر لنا مجموعة من الفتاوى التي تحرم تلك الشركة وتحلل الأخرى و تسبب تلك الفتاوى بلبلة كبيرة للمواطنين خاصة وأن الكثير منهم يقع في حيـــرة كبيرة بين الاستفادة من فرصة استثمارية والخوف من المال الحرام .

ودعت د.هيا الي ضرورة إيقاف تلك الفتاوى الفردية وإحلال الفتوى الرسمية الصادرة من قبل هيئة كبار العلماء " تتحدث عن المملكة العربية السعودية" ليس فقط في موضوع الشركات المساهمة بل في كافة مجالات

الحياة خاصة وأن البعض بات يمارس الإفتاء بكل يسر وسهولة أي لا يتعب نفسه بل يكتفي بالتحريم دون أن يفكر بمصلحة أو ضرر لإنسان.

وقالت أن الإشكال ليس في عمليات الاكتتاب فقط بل إن فردية الفتوى باتت تمس كثيراً من جوانب حياتنا وبات بعضنا يأخذها من افواه يبدو عليها طلب العلم ولكن اشك في تمكنها من القدرة على الإفتاء مما قد يكون ضرره أكثر من نفعه .

وأعربت عن أملها بإتساع قاعدة طلبة العلم الشرعي وأن يتفقه اغلبنا بأمور دينهم ولكن ليس إلى حد أن نصبح جميعاً قادرين على الإفتاء لأن للإفتاء أصوله التي يعلمها هؤلاء أكثر من غيرهم .

ويناقش د. عبد الرحمن التميمي د.هيا فيما ذهبت اليه ويري ان اول من نقض فتاوى هيئة كبار العلماء ولم يعمل بها وانتقدها هم بعض كتاب الصحافة ومحرروها ، وتساءل هل ستلتزم الصحافة باحترام فتاوى هيئة كبار العلماء ..؟

وقد حذر أزهريون ومتخصصون في مجال الدعوة من تمادي دعاة الفضائيات ووسائل الاعلام الاخري في الإفتاء فيما لا علم لهم به ، وطالبوا بضرورة التصدي لوضع حد لفوضى الفتوى التي تشهدها وسائط الاعلام المختلفة في الآونة الأخيرة، وقالوا إن فتح مجال الفتوى أمام الجميع بصرف النظر عن مؤهلاتهم وعلمهم أمر ينطوي على خطر حقيقي، ويؤدى إلى ارتكاب أخطاء في الدين، وإلى ضياع التعاليم الإسلامية ، ونشر البلبلة بين المسلمين، ومن ثم يحدث فساد داخل المجتمع الإسلامي وذلك حسب تقرير اوردته صحيفة البيان الاماراتية في عددها الصادر بتاريخ ١٢ أبريل ٢٠٠٧م (٦).

ويقول د. محمد شامة أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر حسب التقرير آنف الذكر أن الحياة لا تسير إلا إذا وضع كل في موضعه طبقاً لإمكاناته وتخصصاته، فلا يمارس المهندس مهنة الطبيب، ولا يتصدى الطبيب للشؤون الهندسية، أي أنه لا يقوم أحد بعمل إلا إذا كان قد أتقن عن طريق التعليم والتدريب قواعده، وألم بكل جزئياته، وأحاط بالمعرفة اللازمة لممارسة هذا العمل .

وصدق الله إذ يقول: «ولا تقف ما ليس لك به علم» الإسراء: ٦٣، فخوض الإنسان فيما لا يتقنه إهدار للتخصصات، وضياع للجهد والمال وتخريب لمنظومة الحياة، وبالتالي فهو يؤدى إلى التخبط والبلبلة، وفقدان الثقة في مصادر الإنتاج والمعرفة، لأن كلا يعرف كل شيء ، فإذا بحثت عن الحقيقة، فهيهات أن تصل إليها، لأنك لا تستطيع أن تفرق بين من يعرفها حقا، وبين من يدعى أنه يعرفها، ومن هنا فقد حذر الإسلام من ادعاء المعرفة، ونهى عن الخوض فيما هو مجهول، فلا يجوز لأحد إسلامياً أن يتصدى لعمل شيء ما إلا إذا كان متأكداً من الإلمام به، وقادراً على تأديته على أكمل وجه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وقال : لهذا ينبغي أن يميز أهل التخصص في الدراسات الإسلامية، بحيث يعرفون للجماهير، فلا يتطفل الجاهلون في مجال الفتوى الدينية، فيضلوا ويضلوا، ولا يتصدر أنصاف العلماء لتدريس العلوم الشرعية، كي تصان التعاليم الإسلامية من الشطحات ، وتبقى الأحكام بعيدة عن سقطات غير المتخصصين، وهذا فنحن نحث المسلمين على أخذ الفتوى من المؤسسات الدينية الموثوق بها فقط ، وعدم التعامل مع الفتاوى التى تكون صادرة عن أشخاص غير مؤهلين.

أما د. زكى محمد عثمان رئيس قسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة جامعة الأزهر، فيؤكد أن الإفتاء من غير علم ظاهرة عبثية وغير مسئولة، فالفتوى أصبح يتصدى لها من هو ليس أهلا لها نتيجة لقناعته الشخصية أو أهوائه، فيتساهل في إصدار الفتوى دون الرجوع لقواعد الإفتاء أو الالتزام بها، الأمر الذي قد يقود في بعض الأحيان إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال والعياذ بالله .

ويبين د. زكى أن أى متابع للساحة الدينية الآن وللكثير من البرامج الدينية التي تبثها القنوات الفضائية المختلفة والصحف والمجلات لابد وأن يدرك حجم المأساة وهو يرى أشخاص تنتقل عبر الهواتف من قناة فضائية لأخرى لتبحث لها عن محلل لفعلها ومؤيد لها، لترمى عليه وزرها فتبرر عملها بفتوى لشخص ليس من أهل الفتوى.

ويستنكر الشيخ فرحات المنجي وكيل الوزارة بالأزهر سابقاً على بعض القنوات استضافة من لا يملك أي وسيلة للإفتاء أو أي شرط من شروط الإفتاء ولم يحفظ القرآن ولم يعرف الرجوع إلى السنة ولا اللغة العربية ودلالات الألفاظ ولا أسباب النزول ولا حتى لديه الورع ما يخيفه من الفتوى، لأن الفتوى أمر خطير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار».

ويضيف: ولكن مع الأسف بعض هذه البرامج ليس على المستوى المطلوب خاصة عندما تستضيف هذه البرامج شخصيات غير مؤهلة ولا يمكنها القيام بمهمة الإفتاء، الأمر الذى جعل الدين مستباحا لمدعى العلم وهواة الشهرة وظهر أناس يتكلمون باسم الدين والدين منهم برىء، وأخذوا يفتون بفتاوى غريبة بلا دليل ولا بينة وهو لا يقصدون من وراء

تلك الفتاوى سوى الشهرة، وينبغي على وسائل الإعــلام كافــة خاصــة القنوات الفضائية ألا تقدم للفتوى إلا من هو أهل لها.

أما د. هاجر سعد الدين رئيسة إذاعة القرآن الكريم المصرية ســابقاً فقالت: لقد كنا حريصين دائماً في إذاعة القرآن الكريم علــى استــضافة المتخصصين في كافة البرامج التي تبثها الإذاعة ، و لم يحــدث أن تــم إذاعة فتوى قامت بإثارة البلبلة بين الناس أو كانت مخالفة للشرع فــنحن جميعاً في الإذاعة نعي تماماً أن الفتوى أمانة وندرك مــدى خطورتهــا وتأثيرها على المجتمع فالفتاوى التي تصدر عن غير الفقهاء تمثل خطراً يهدد بنية الأمة وتماسكها وتوقع المسلمين في الخطأ والحرج.

*** مقترحات لعلاج سالب وفوضي الفتوي في وسائل الاعلام**:-

من واقع هذه النظرة العجلي علي واقع الفتوي في وسائط الاعــلام المختلفة يلاحظ المرء أن ثمة أمر يستحق وقفة ونظرة فاحصة ومن ثــم مقترحات لمعالجة إفرازات هذا الواقع المازوم .

وقد أهَم أمر هذه الفضوي الإفتائية في الوســائل الاعلاميــة أهــل الاعلام أنفسهم لما يكنونه من إحترام ودور إيجابي لوسائطهم الاعلاميــة في المجتمع ودورها البنائي وفي هذا الصدد تقول د. هويــدا مــصطفى مستشارة معهد الأهرام الإقليمي للصحافة: يجب علينــا كــإعلاميين أن نشارك في عملية التصدى للفتاوى مجهولة المصدر.

وتؤكد د. هويدا أن الفتاوى الصادرة عن غير علم تعمل على تشويه القيم والمعتقدات الدينية التي يؤمن بها الفرد ، كما أنها تمهــد وتــروج لعادات وأنساق اجتماعية تخالف تقاليد واخلاقيات المجتمــع الإســلامي،

وتؤثر سلبا على تركيبة الإنسان السوي.. وهو ما يجب التصدي له بكل حزم قبل كل الجهات المعنية.

وتقترح د. هويدا مجموعة متطلبات للعلاج منها : ضرورة التحرك السريع في اتجاه إيجاد إعلام مضاد يوجه المسلمين ويسهم مع المؤسسات الدينية والتعليمية ومع أساتذة علم الاجتماع والنفس في نشر الفتاوى المبنية على أصول فقهية صحيحة ، وفي تشكيل وعي ديني وثقافي واجتماعي قوي قادر على عدم التأثر بتلك الفتاوى ، وفي إعطاء المسلمين مناعة تحصنهم من محاولات اختراق معتقداتهم وأفكارهم وتشويه صحيح الدين وإحداث نوع من البلبلة بينهم ، كما يجب على معدي ومقدمي البرامج الدينية ومحرري الشوؤن الاسلامية بالصحف والمجلات الاستعانة بعلماء الدين والعلم في برامجهم وعدم فتح الباب أمام غير المؤهلين، وعلى المسئولين العمل على إنتاج برامج إسلامية تكون جاذبة للمشاهدين، وتقدم لهم الجرعات الإيمانية والعلمية، والأمصال الوقائية ضد كل ما يخالف صحيح الدين ، حتى يتم أخذ الفتوى من المصادر الدينية الموثوق بها ، وغير ذلك يجب الا يعتد به.(٧)

ويحمد للمركز العالمي للوسطية أنه يعطي المجال الاعلامي إهتماما مناسبا ضمن أجندته حيث يسعي لإعادة صياغة أسس العمل الإعلامي وذلك بالدعوة للوسطية منهجاً وسلوكاً، وبثها في مختلف المواد الإعلامية، مع استخدام كافة الوسائل المتاحة لتوجيه الفكر، الفردي والجماعي، إلى التحلي بالوسطية والنأي عن أي فكر أو سلوك أو عمل يستند إلى الغلو والتطرف والتشدد والإفراط، أو يكون مستند إلى التساهل والتسيب والتشبه بالآخرين والتفريط ، مع الحرص على تقديم نماذج

تكون صوراً ذهنية مرغوبا فيها لمن يتسمون بالسماحة في حياتهم، لاسيما من الرموز الإسلامية التاريخية والمعاصرة ، وتقديم برامج إعلامية متنوعة عن انعكاسات الوسطية على السلوك العام والسلوك الخاص، وتأثيراتها الإيجابية لتحسين ظروف الحياة، وتوفير المناخ الملائم لتعايش اجتماعي سلمي بين كافة فئات المجتمع .

وهذا هو بالضبط مايحتاجه حقل الاعلام لتحسين واقع الفتوي ومجرياتها في كافة وسائط الاعلام ، لذلك فان تعميق مفاهيم الوسطية لدي أهل الاعلام وتدريبهم عليها من المهام التي ينبغي علي المركز العالمي للوسطية الاسراع باتخاذ خطوات عملية فيها بحسبان أن أهل الاعلام هم الاقدر في التعامل مع واقعهم .

....

مراجع:

1_ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية، مجموعة الفتاوى الشرعية، (١٣٩٧ – ١٤٠٥هـ) ، الجزء الأول.

٢ _ بتصرف من محمد حسن يوسف: الفتوى بين التشدد والتساهل"مقال".

٣_ تفسير القرطبي لسورة النساء من موقع الإسلام.

٤_برنامج الطبعة الأخيرة، قناة العربية، تاريخ الحلقة : ٢٠٠٥/١٠/٨.

٥_ www.alriyadh.com/2005/12/21/article117013.html

٦_ http://www.albayan.ae/servlet/Satellite

٧_ المرجع السابق .